جمال الدين وذلك بعد ان كف بصره وطالعت له حاشية الطيبي على
الكشاف وحاشية الشيخ سعد الدين وبعض حواشي كحاشية الجلال
السيوطي والبانوبي وغير ذلك ولما شرح البخاري كنت اطالع له حال
التاليف وشرح العيني وشرح البرماوي وشرح الكرماني وشرح القسطلاني
حتى صار غالب هذه الشروح نصب عيني من كثرة مطالعتها له وتكرارها
الكلام حتى ناخذ منه المعنى الذي يضعه في شرحه ولما قرات عليه
شرح الروض كنت اطالع عليه شرح المهذب والخادم والقوت وشرح
المنهاج والمطلب والكفاية لابن الرفعة وتتبعت جميع المواد الذي
استمديت منها في شرحه ونبهته على اثني عشر موضعًا ذكر في شرحه
انها من زوايد الروض على الروضة والحال انها مذكورة في الروضة
في غير ابوابها فضرب عليها كونها زايدة ونبه على انها مذكورة في غير
ابوابها ثم اني رايت الزركشي نبه على هذه المواضع في كتابه خبايا الزوايا
فنوه بذلك رضي الله عنه وكان اعظم اشياخي في العلم والعمل والهيبة
ولازمته عشر سنين فكانها من طيبها كانت جمعة وكان في بعض
الاوقات يقول لي هل تذهب بنا الى بحر النيل في الهوا فاقول مع مجالستكم
غنا فيدعو لي وحكى لي مرة ان يحيى بن يحيى الاندلسي جالس الامام مالك
سنين فمر يوما الفيل فقام الطلبه يتفرجون عليه فقال له الامام مالك
اما تنظر الى الفيل فانه ليس في بلادكم فقال يا سيدي انا ما رحلت من
بلادي لاتفرج على الفيل وانما رحلت اليك لانظر الى افعالك واقوالك
واهتدي بهديك فاعجب مالك ذلك وسماه عاقل اهل الاندلس رضي الله عنه
وقرات على الشيخ الامام المحقق علامة الزمان الشيخ شهاب الدين الرملي
رحمه الله تعالى كتاب الروضه من اولها الى اثناء الجراح فحصل لي رمي
دم فلم اكمله عليه وكنت اطالع على كل درس قراته عليه كتاب القوت
وكتاب الخادم وكتاب شرح الروض للشيخ زكريا ولابن سؤله والمطلب
والمهمات والكفاية لابن الرفعة وشرح المهذب والرافعي الكبير والقطعة
والتكمله وشروح ابن قاضي شهبة على المنهاج وشرحي الارشاد للجوجري
ولابن ابي شريف وشرح البهجة للشيخ زكريا رضي الله عنه واكتب
زوايد هذه الكتب على الحواشي وربما الصق فيها اوراقا حتى تصير الحواشي
اكثر من الفاظ الاصل ثم اقراوها كلها عليه وكان ينبهني على المفتى به من
غيره فاقيده على الحاشيه وكان يتعجب من سرعة مطالعتي هذه الكتب في
نحو اليوم والليله ويقول لولا انك تكتب زوايدها على الحواشي وتترك الكلام
المداخل لقلت انك لم تلحق تطالع هذه الكتب فضلا عن تحرير ما تكتبه
منها بعد حذف المتداخل يعني تركه من هذه الاصول وكان ذهني بحمد
الله تعالى سيالًا لا يسمع شيا وينساه ولم ازل كذلك حتى ترادفت علي
الهموم لما دخلت في السن الى نحو خمس وعشرين سنة وذلك سنة

ثلاثه

١٣

ثلاثه وعشرين من القرن العاشر التي دخلت فيها الى مصر وقد ولده ابن عثمان نضرهم
الله تعالى وقال لي مرات بدايتك نهاية غيرك فاني ما رايت احدا يتيسر له
مطالعة هذه الكتب كلها في هذا الزمان ابدا وكنت اطالع الجزء الكبير من الرافعي
والخادم كاملا في ليلة واحدة فهذا ما استحضرته الآن من الكتب
التي طالعتها حال قرايتي على الاشياخ وسياتي قريبا ذكر اسما الكتب التي
طالعتها لنفسي مع مراجعة الاشياخ في مشكلاتها ان شا الله تعالى والله اعلم

ومما من الله تعالى به علي

اخذي بالاحوط في ديني ولا اترخص يوما من الايام في تركه الا بطريق شرعي
فكما ان من اخذ بالاحوط فهو على هدى من ربه كذلك بالرخصة بشرطها
فهو على هدى من ربه فيها وكنت بحمد الله تعالى حال اشتغالي على
الاشياخ اشدد على نفسي في العمل على الخروج من الخلاف ما امكن كل ذلك طلبا
لتكون عبادتي صحيحة على جميع المذاهب او اكثرها وما رايت اشد على مراعاة
الخلاف من صلاة العصر فان صليتها على مذهب الامام الشافعي في اول وقتها
خالفت الراجح من مذهب الامام ابي حنيفة لان وقتها حين صليتها على مذهب
الامام الشافعي لم يكن دخل وان صليتها اول الوقت على مذهب الامام الشافعي
واعيدها حين يدخل وقتها على الراجح من مذهب ابي حنيفه لقول الاصطخري
ان العصر لا تعاد وان اقتصرت على صلاتها في الراجح من مذهب ابي حنيفة
قال الطحاوي قد خرج وقتها حينئذ فلما تعذر علي الخروج من خلاف
العلما اخذت بما صح في حديث امامة جبريل من الوقتين ولتعلم يا اخي
ان من الاحتياط المكروه كانه حرام والاعتنا بالسنن كانها واجبة ويتوقى
من مس الفرج ان كان حنفيا ومن الفصد ان كان شافعيا ويطهر نجاسة
الكلب والخنزير سبعا احداهما بتراب ان كان مالكيا وهكذا في مسايل
الخلاف العالي والنازل من الصحابه الى عصرنا هذا فعلم انه ينبغي
للعبد التوبة من المكروه كانه حرام ومن ترك السنة كانها واجبة
تعظيما لاوامر الله تعالى وقد روى البزار باسناد صحيح ان الله فرض
فرايض وفرضت فرايض الحديث وكذلك مما يويد الاعتنا بالسنة
قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وسمعت سيدي
علي الخواص رحمه الله يقول كلما ازداد العبد معرفة بالله تعالى كلما
اعتنى بالتعظيم لامره ونهيه وكلما بعد عن حضرة الله تعالى كلما تهاون
بفعل امره واجتناب نهيه وفي الحديث انا اعرفكم بالله واخوفكم منه
وروى الحاكم وصححه مرفوعا من اراد ان يعلم منزلته عند الله فلينظر
كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه انتهى

ومما انعم الله تعالى به علي

عدم التعصب لمذهبي من غير علم ولا اجتهاد فلا اتذكر اني قلت عن شي من
مذهب المخالف هذا ضعيف ابدا بل سدادي ولحيتي التسليم للمخالف وقد كان

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)